مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - الجزء الاول - المجلد الثالث و الخمسون

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

مفهوم الجوار عند العرب بين المنظور القبلي والمنظور الاسلامي " دراسة تاريخية ـ اجتماعية "

أ . د . هاشم يحيى الملاح*

الملخص :

أن مفهوم الجوار مشتق من فعل المجاورة ، وهو يعني حصول المستجير على الحماية والأمن من قبل من يجاورهم .

وقد أثر الجوار تأثيراً كبيراً في حياة العرب قبل الإسلام من حيث توفير الحماية والأمن للضعفاء ، وتحقيق التكافل الاجتماعي بين الناس ، وقد توصل البحث إلى أن مفهوم الجوار قد أصابه التغير والتطور في ظل الرسالة الإسلامية بسبب التحولات العميقة التي أحدثها الإسلام في أوضاع المجتمع السياسية والاجتماعية والثقافية ، فغدا الجوار ذو مفهوم أخلاقي يستهدف تقوية روح التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع . أما المفهوم السياسي للجوار الذي يقوم على منح الحماية والامان للمستجيرين فقد أصبح من واجبات الدولة ، وهي تعمل على توفيره لمن يطلبه في الحدود التي تسمح بها الشريعة الإسلامية .

---

* عضو المجمع العلمي العراقي ، وأستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب ـ جامعة الموصل .

التمهيد :

يعد الأمن إحدى الحاجات الأساسية التي يسعى الأفراد إلى اشباعها بوسائل شتى ، لأن من المتعذر على الانسان ان يعيش حياة طبيعية مثمرة إذا كانت نفسه أو عائلته أو أمواله أو غيرها من الأشياء العزيزة عليه مهددة بالخطر . ومن ثم فقد سعت المجتمعات كافة أيا كان مستواها من التطور إلى العمل على تأمين هذه الحاجة لأعضائها . بل إن البحث العلمي قد توصل إلى أن أحد الأسباب الرئيسة لنشوء المجتمعات الانسانية المنظمة منذ اقدم العصور هو التعاون من اجل الدفاع عن النفس وتحقيق الأمن والاطمئنان لأفرادها[1] .

وقد تنوعت أشكال التجمعات التي عرفها التاريخ بحسب درجتها من النمو والتطور ، فكان من اقدم هذه التجمعات العائلة ، والعشيرة ، والقبيلة ، ودولة المدينة ، والدولة العامة . وتعدد السلطة ، الظاهرة منها والمستترة مركز الحياة المنظمة في الجماعة التي تتولى مسؤولية إقامة توازن بين حاجات أفرادها وتسوية المنازعات بينهم ومساعدتهم على اشباع حاجاتهم الأساسية ، وتأتي في مقدمتها : حاجاتهم إلى الحماية من عدوان الآخرين وضمان الأمن والسلام لهم[2]. وقد فرضت طبيعة الظروف الصحراوية القاسية ، وغياب الدولة المركزية في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، على العرب ان يعيشوا في إطار النظام القبلي الذي أفسح المجال أمام الصراعات والحروب بين القبائل لأسباب متنوعة ، منها : التنافس على موارد العيش الشحيحة كالماء والكلأ ، أو الرغبة في فرض السيادة والسلطان على الآخرين ، أو تصفية حساب الخصومات السابقة عن طريق أخذ الثأر ... ، وهكذا .. [3] .

وكان من الطبيعي إن يعمل أبناء هذه القبائل بصورة بطيئة وتلقائية على

---

[1] ابن خلدون،عبد الرحمن،مقدمةابن خلدون،دار أحياء التراث العربي،ط٣ ص ٤٢ ــ ٤٣.

[2] ماكيفر ، روبرت ، تكوين الدولة ، ترجمة د . حسن صعب ، بيروت ١٩٦٦ ص ٤١ ــ ٤٢ ، ٨٣ ــ ٨٥ .

[3] الملاح ، د . هاشم ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الموصل ١٩٩٤ ص ٣١ ــ ٣٣ ، ٣٥٨ ــ ٣٦٠ .

التوصل إلى أفكار وتنظيمات تساعد على حماية أنفسهم ، وضمان الأمن والسلام لمجتمعهم في مواجهة هذا الواقع الصعب والمضطرب .

وتشير النصوص التاريخية التي وصلت إلى أيدينا عن هذه الحقبة من التاريخ العربي ، إلى أنَّ من أهم الأفكار العامة التي عرفها العرب في هذا المجال ، هي : فكرة الجوار ، وقد غدت بمرور الزمن ، إحدى التقاليد الراسخة التي تطبع الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية عند العرب إذ لم يعد في وسع أحد منهم الخروج عليها او مخالفتها ، والا أصاب سمعته كثيرا من الذم والتشهير ، وتعرضت منزلته الاجتماعية للتدهور والسقوط[٤] .

في ضوء ما تقدم ، فقد تعاملت الرسالة الاسلامية مع فكرة الجوار بصفتها قيمة إيجابية ينبغي المحافظة عليها وتطويرها باتجاه مسايرة التطورات التي أحدثها الإسلام في حياة العرب على المستوى الديني والاجتماعي والسياسي . وهكذا فقد قدر لفكرة الجوار ان تحافظ على مكانتها كفضيلة من الفضائل العربية التي اقرها الإسلام ، وان تستمر فاعلة ومؤثرة في المجتمعات الاسلامية حتى الوقت الحاضر .

فما هو مفهوم الجوار ؟ وكيف تطور في ظل المفاهيم والقيم الاسلامية ، وما هي الأهداف التي حققها في عصر الرسالة والتي ما زال جانبا منها قائما في الوقت الحاضر ؟ ..

هذا ما ستجيب عليه المباحث الآتية :

---

(٤) الجبوري ، جاسم محمد عيسى ، الجوار ، دراسة في المفهوم والدلالة التاريخية (عصر الرسالة والراشدين) ، رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة . كلية الآداب / جامعة الموصل ، ١٩٩٩ بأشراف أ. د. هاشم يحيى الملاح ص ٢١ ــ ٢٣ .

مفهوم الجوار :

يرى علماء اللغة ان (الجوار) اسم مشتق من كلمتي الجار والمجاورة ، وهي تعني الحصول على الحماية والأمن من قبل من يجاورهم فهو يـ : " تحرم بجوارهم " على حد تعبير ابن منظور[٥] . " وكان سيد العشيرة إذا أجار عليها إنساناً لم يخفروه "[٦] ، أي أن شيخ العشيرة إذا منح الجوار لأحد الغرباء المستجيرين به وجب على جميع أفراد عشيرته احترام جواره وعدم الإساءة الى الجار او المساس به ، لأنه قد تحرم بجوارهم ، وبذلك تصبح نفسه وماله حرام عليهم . لذا فقد أشار الزبيدي إلى ان " الجار والمجير والمعيذ واحد ، وهو الذي يمنعك ويجيرك "[٧] . " والجار الذي اجرته من ان يظلم "[٨] . وهكذا فقد عد الحليف عند العرب جاراً ، وعد الحلف جواراً لأن من شأن الحلف ان ينشأ التزامات بين المتحالفين تفرض عليهم التعاون والتضامن والتناصر في مواجهة الأعداء . لذا فقد أشير إلى ان الجوار يعني " العهد والأمان . ومعاهدة حسن الجوار : معاهدة صداقة بين دول متجاورة من اثنتين فأكثر "[٩] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى فكرة الجوار في العديد من آياته فأمر الرسول (ﷺ) بان يمنح الجوار لمن يستجير به من مشركي

---

[٥] ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت (دار لسان العرب) بلات ، ج١ ص ٥٣٠.

[٦] المصدر نفسه ، ج ١ ص ٥٣١ .

[٧] الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق إبراهيم الترزي ، بلا مكان ، بلا تاريخ ، ج ١٠ ، ص ٤٧٨ .

[٨] المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ٤٧٨ .

[٩] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط ٣ ، مصر ١٩٨٥ ، ج ١ ص ١٥١ .

العرب حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه فقال تعالى : " وإن أحدٌ مِنَ المشركينَ استجارك فأجِرهُ حَتى يسمعَ كلام الله ثُمَّ أَبلِغهُ مَأمَنَهُ[١٠] .كما وصف الله تعالى نفسه في القرآن الكريم بأنه"(يُجِيرُ ولا يُجَارُ عَلَيهِ) [١١] وقد أوضح ابن منظور ان " الجار والمجير والمعيذ واحد ، ومن عاذ بالله أي استجار به أجاره الله ، ومن أجاره الله لم يوصل اليه ، وهو سبحانه وتعالى يجير ولا يجار عليه أي يعيذ . وقال الله تعالى لنبيه ، ((قُل إنّي لَن يُجِيرَني مِنَ اللهِ أَحَدٌ)) [١٢] ، أي لن يمنعني من الله أحد ... وأجاره الله من العذاب : أنقذه ...[١٣].

وقد أشار علماء اللغة إلى ان مصطلح جار قد توسع ليشتمل كل من تمتع بحماية الآخرين بسبب قرب العلاقة أو المكان أو العمل أو غيرها فقيل لزوجة الرجل جارة " لأنه مؤتمن عليها ، وأمرنا أن نحسن إليها وان لا نعتدي عليها لأنها تمسكت بعقد حرمة الصهر ، وصار زوجها جارها لأنه يجيرها ويمنعها ولا يعتدي عليها "[١٤]. وأطلق مصطلح الجار على الذي يجاورك بيت بيت ، والجار الشريك في العقار ، والجار المقاسم ، والجار الحليف ، والجار الناصر ، والجار الشريك في التجارة ، وغيرها[١٥]. وان مما يتصل بمعنى الجوار مجاورة الانسان للأماكن المقدسة لغرض التنسك والعبادة ، فيتمتع بجوار الله تعالى . وقد ذكر ابن منظور ان " المجاورة الاعتكاف في المسجد .

---

[١٠] سورة التوبة ، آية ٦ .

[١١] سورة المؤمنون ، آية ٨٨ .

[١٢] سورة الجن ، آية ٢٢ .

[١٣] ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ص ٥٣١ .

[١٤] المصدر نفسه ، ح ١ص ٥٣١ .

[١٥] المصدر نفسه ، ج ١ ص ٥٣٠ .

وفي الحديث ان الرسول (ﷺ) كان يجاور بحراء . وكان يجاور في العشر الأواخر في رمضان أي يعتكف ، وفي حديث عطاء وسُئِل عن المجاور يذهب للخلاء يعني المعتكف . فأما المجاورة بمكة والمدينة فيراد بها المقام مطلقاً غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي "[١٦].

يظهر من العرض المتقدم لمفهوم الجوار عند العرب ، إن هذا المفهوم ينطوي على نوعين من المعاني ، معان قبلية ترجع إلى حقبة ما قبل الاسلام ، وهي تركز على الجوار الذي يمنحه شيوخ القبائل او أبناء القبيلة لمن يستجير بهم في إطار العلاقات القبلية وقيمها . ومعان إسلامية تستمد دلالتها من الرسالة الإسلامية وهي تركز على الله تعالى بصفته هو الحامي والمعيذ والمجير لمن يستجير به ، غير ان هذه المعاني لا تمنع الناس من ممارسة حقوق الجوار بصورها المختلفة ، إذا جاءت في إطار مبادئ الحق والعدل التي أمر الله بها ورسوله لأن " ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم " [١٧]، وهو ما ستتولى توضيحه في الصفحات التالية .

طبيعة الجوار ووظائفه :

ينطوي الجوار على اتفاق صريح او ضمني بين طرفين ، هما المستجير والمجير ، إذ يلجأ المستجير في حالة شعوره الملح بالحاجة الى من يدافع عنه ويحميه إلى طلب ذلك من المجير الذي يمتلك القدرة والقوة على ذلك . فإذا وافق على ذلك الطلب يكون عقد الجوار قد أنعقد بين الطرفين وسرت آثاره عليهما . ولا يتطلب منح الجوار عند العرب مراسيم شكلية او قانونية معينة لأنه عقد رضائي ينظمه العرف والتقاليد.

---

[١٦] المصدر نفسه ، ج ١ ص ٥٣١ .

[١٧] ابن هشام ، محمد بن عبد الملك ، السيرة النبوية ، القاهرة ١٩٥٥ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ق ١ ، ص ٥٠٢ .

ولا يشترط دائماً أن ينعقد الجوار بناءاً على طلب المستجير ، اذ قد تدفع المروءة وطلب الذكر الحسن المجير إلى عرض جواره وحمايته على من يجده في حاجة إلى ذلك ، فأن قبل في أي صورة من صور القبول انعقد الجوار بين الطرفين وسرت آثاره عليهما أمام أفراد المجتمع .. ولا يشترط فيمن يحق له منح الجوار شروطاً محددة سوى ان يكون قادراً على الوفاء بتعهده بنفسه أو بحكم مركزه في قبيلته . لذا فقد حفظت لنا المصادر حالات منحت فيه بعض النساء الجوار لبعض من استجار بهن أو أنهن بادرن إلى منحه بدافع المروءة والشعور بالواجب[١٨] . بل إن كتب التراث قد حفظت لنا حالات منحت فيها بعض القبائل العربية الجوار لمن يطلبه بصورة مطلقة دون معرفة لهوية المستجير . فقد ذكر ابن حبيب في صدد حديثه عن مناقب العرب قبل الاسلام والتي أقرها الاسلام وزادها شدة حالتين تقعان ضمن موضوع الجوار وهما :

ـ قبة (أي خيمة) عوف بن أبي عمرو من بني شيبان فكان " لا يدخلها جائع إلا أُشبع ، ولا خائف إلا أمن " [١٩].

ـ ومكرمة قبيلة بجيلة ، فكان لا ينزل بديارهم " نازل قط إلا عمدوا الى ماله فحبسوه ودفعوه إلى رجل يرضون أمانته ، ومانوه بأموالهم ـ أي أنفقوا عليه من أموالهم ـ ما أقام بين أظهرهم ، فإذا ظعن أدوا اليه ماله ورحلوا معه . فان مات ، ودوه ـ أي دفعوا ديته ـ وان قتل طلبوا بدمه ، وان سلم ألحقوه بمأمنه . وفي ذلك يقول عمرو بن الخثارم :

---

[١٨] ابن عبد ربه الأندلسي ، احمد بن محمد ، كتاب العقد الفريد ، بيروت ١٩٦٥ ، ج ٥ ص ١٧٢ . ابن حبيب ، ابو جعفر محمد ، كتاب المحبر ، بيروت ١٣٦١ ، ص ٢٤١ ، ٣٤٨ ـ ٣٥٥ .

[١٩] ابن حبيب ، المحبر ، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

يعينون الغني على غناه ويثروا في جوارهم القليل[٢٠]

ولم يشتمل الجوار أرواح الناس وأنفسهم فحسب ، بل انه امتد ليشتمل أموالهم وأمتعتهم في بعض الحالات ، فقد ذكر ان امرؤ القيس بن حجر أودع دروعا له عند السموءل بن حيابن عاديا الغساني ، فلما مات أمرؤ القيس " غزاه بعض ملوك الشام ، فأغلق الحصن دونه ، فظفر الملك بابن له (السموءل) كان خارج الحصن ، فناداه ياسموءل !! ادفع ألي دروع امرئ القيس ، والا قتلت ابنك ، فشاور نساءه وأهل بيته فكل أشار عليه بدفع الدروع واستنقاذ ابنه . فأشرف السموءل على الملك فقال له : (ليس إلى الدروع سبيل ، فأفعل ما بدا لك) . فذبح ابنه وهو ينظر اليه ، وانصرف عنه . فلما حضر الموسم حمل الدروع حتى دفعها إلى ورثة امرئ القيس ، فقال الأعشى :

جار ابن حيا لمن نالته ذمته أوفى وأكرم من جار ابن عمار

خيره خطتي خسف فقال له مهما تقله فاني سامع حار

فشك غير طويل ، ثم قال له اذبح هديك ، فاني مانع جاري[٢١]

إن التأمل بهذا الموقف الذي اتخذه السموءل في حماية مال جاره حتى بعد موته ، وتضحيته بابنه في سبيل الوفاء بعهده ، يكاد لا يصدق لولا ان وصلتنا بعض الآثار الأدبية التي تؤكد سمو نفس هذا الرجل وكرم أخلاقه وتضحيته بابنه وفاءا لجاره . وقد وصف الكميت فعل السموءل بهذين البيتين من الشعر :

وما كان السموءل في وفاء وقد بلغت حفيظته الخطوب

غداة ابتاع مكرمه بثكل وقد يوفي بذمته الكئيب[٢٢]

---

[٢٠] المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ .

[٢١] المصدر نفسه ، ص ٣٤٩ .

[٢٢] المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ .

أما السموءل نفسه ، فقد وصف موقفه من الجار ببعض الآبيات الشعرية الجميلة والمعبرة منها قوله :

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل[٢٣]

وكان الجوار يعطي في بعض الاحيان لأفراد قبيلته بكاملها ، فقد غضب النعمان بن المنذر على بني عامر بن صعصعة ، فلجأوا إلى عصيمة بن خالد بن سنان بن منقر فأجارهم . فبعث اليه النعمان : (ابعث الي بعبيدي) فأبى ونادى في قومه شعاره (كوثر) واقبل النعمان فأستقبله عصيمة فأهوى بالرمح إلى معرفة فرسه ، وهزمه في القتال . ثم ان عصيمة كسا بني عامر وبلغهم مأمنهم . وقال في ذلك :

منعنا من النعمان سادة عامر بأسيافنا في الموقف المتهيب

فمهلاً ،أبيت اللعن ،لاتزج ذمتي فمالي عن جاري بنفسي مرغب[٢٤]

ولم يقتصر منح الجوار للأفراد او القبائل على توفير الحماية والأمن لهم في وجه من يظلمهم من بني الانسان ، بل انه امتد ليشمل حالات المساعدة لمواجهة قسوة الطبيعة وجفافها . فقد ذكر انه في إحدى السنوات أصاب الناس جفاف شديد فأتى " الأكابر من بني تيم الله بن ثعلبة وهم مالك وعامر ومليحة ، فجاوروا (بدر بن حمراء العنبي) فوفى لهم حتى احيوا ورجعوا " إلى ديارهم بعد ان زالت الظروف التي ألجأتهم إلى ترك ديارهم[٢٥] .

---

[٢٣] القالي البغدادي ، أبو علي إسماعيل ، كتاب الأمالي ، بيروت ، بلات ج ١ ص ٢٦٩ .

[٢٤] المصدر السابق ، ص ٣٥٤ .

[٢٥] ابن حبيب ، المحبر ، ص ٣٥٥ .

وهكذا نلاحظ إن الجوار يعمل عملا كبيرا في حياة العرب من حيث توفير الحماية والأمن للضعفاء والمستضعفين ، وفي تحقيق التكافل الاجتماعي والتغلب على مصاعب العيش في بيئة صحراوية قاسية . وحين جاء الاسلام ، استفاد المسلمون من سيادة قيم الجوار بين العرب في تحقيق الأمن لأنفسهم ودعوتهم بقدر ما سمحت به الظروف القائمة في عصر الرسالة ، وهو ما سنفصل الحديث عنه في السطور الآتية :

الجوار ونشر الدعوة الإسلامية في مكة :

تعد مدينة مكة التي ظهر فيها الاسلام مدينة مقدسة ، وحرماً آمنا، لا يجوز لأحد ان يعتدي على أحد فيها لأنها موطن الكعبة ، بيت الله الحرام ، كقوله تعالى : ((وَمَن دَخَلَهُ كانَ آمِناً))[٢٦] .

ومن ثم كان من المفترض ان يتمتع المسلمون في مكة ــ وهم يدعون الى ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، بمعاملة حسنة من قبل معارضيهم من المشركين ، غير ان هؤلاء المشركين قد عدوا دعوة الرسول ــ ﷺ ــ لهم لنبذ عبادة الأصنام لأنها لا تنفع ولا تضر ، والتوجه الى عبادة الله وحده ، بمثابة عدوان على معتقداتهم وتشكيك بأحلامهم وعقولهم وطعنا بحكمة آبائهم وأجدادهم الذين كانوا يعبدون هذه الأصنام ، وفضلاً عما تقدم ، فقد وجدوا في انتشار الإسلام بين أبنائهم تفريقاً لجماعتهم وتشتيتاً لوحدتهم ... وهكذا فقد سوغوا لأنفسهم اضطهاد المسلمين والعدوان عليهم على الرغم من مجاورتهم لبيت الله الحرام وتحرمهم بحرمه ، بحجة انهم يقومون بحماية معتقداتهم والدفاع عما كان يعبد آباءهم وأجدادهم[٢٧] ، وكان اشد من تعرض للأذى والفتنة في الدين من المسلمين المستضعفون من الرقيق والموالي الذين لا

---

[٢٦] القرآن الكريم ، سورة آل عمران : آية ٩٧ .

[٢٧] ابن هشام ، السيرة ، ق ١ ، ص ٢٦٤ ــ ٢٦٦ .

عشائر لهم تدافع عنهم وتحميهم . أما المسلمون من قريش ، فقد اختلف ما تعرضوا له من أذى واضطهاد بسبب عقيدتهم بحسب موقف أهلهم وعشائرهم منهم ومن الإسلام[٢٨] .

وقد أثر " الجوار " تأثيراً بارزاً في التخفيف من حدة الاضطهاد الذي تعرض له المسلمون في مكة ، وساهم في تحقيق الحماية للرسول ـ ﷺ ـ ولبعض أصحابه من اجل مواصلة العمل على نشر الرسالة الإسلامية بين الناس . وسنعرض فيما يلي عدداً من الحالات البارزة للجوار الذي تمتع به المسلمون في هذه الحقبة لتوضيح ذلك :

١ . ذكر ابن إسحاق ان الرسول ـ ﷺ ـ استطاع ان يحصل على حماية عمه أبى طالب ، وكان سيد بني هاشم ، منذ بداية التبليغ ونشر الدعوة ، إذ قال أبى طالب للرسول ـ ﷺ ـ وهو يعتذر عن الدخول في الإسلام : أي ابن أخى ، أنى لا أستطيع ان أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت "[٢٩] . وقد عدت هذه الحماية نوعاً من الجوار ، لأن قريشاً عاتبت أبا طالب على توسعه في منح الجوار إلى أشخاص آخرين بالإضافة إلى ابن أخيه محمداً ـ ﷺ ـ . يقول ابن إسحاق : " ان أبا سلمه لما استجار بأبي طالب ، مشى اليه رجال من بني مخزوم ، فقالوا له : يا أبا طالب ، لقد منعت منا ابن أخيك محمداً ، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا ، قال : انه استجار بي ، وهو ابن أختي ، وان انا لم امنع بن أختي لم امنع ابن أخي ، فقام ابو لهب فقال : يا معشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، وما تزالون توثبون عليه في جواره بين قومه ، والله لتنتهن عنه

---

[٢٨] المصدر نفسه ، ق ١ ص ٣١٧ ـ ٣٢١ .

[٢٩] المصدر نفسه ، ق ١ ص ٢٤٧ .

أو لنقو من معه في كل ما قام فيه ، حتى يبلغ مـــا أراد .فقـــالوا : بـــل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة "[٣٠] .

٢ . وحين رأى رسول الله ــ ﷺ ــ ما يصيب أصحـــابه مـــن البـــلاء والشدة على أيدي مشركي مكة ، وان ليس في مكة من يجيرهم ويمنعهم كما منعه عمه من أذى المشركين " أمرهم بالهجرة إلى ارض الحبشـــة ، وقال لهم : إن بها ملكا لا يظلم الناس ببلاده ... فهاجر رجـــــال مـــن أصحابه إلى ارض الحبشة مخافة الفتنة وفروا إلى الله ــ عز وجـــل ــ بدينهم "[٣١] ... وقد بلغ عدد المهاجرين إلى الحبشة حوالي ٨٣ مهاجرا من الرجال والنساء . وقد وصفت أم سلمة إقامـــة المســـلمين بالحبشـــة بقولها : " فنزلنا بخير دار إلى خير جار ... آمنا على ديننا ولم نخشـــى من ملك الحبشة ظلما[٣٢] .

وقد ذكر ابن إسحاق إن المسلمين في الحبشة بلغهم ان قريشا قـد أسلمت وأنهم قد سجدوا مع رسول الله ــ ﷺ ــ في الصـــــلاة ، فقـــرر ثلاثة وثلاثون منهم العودة إلى مكة فلما وصلوها " بلغهم ان مـــا كـــان تحدثوا به من إسلام آهل مكة كان باطلا فلم يدخل منهم أحد إلا بجـــوار أو مستخفيا[٣٣] . وقد ذكرت لنا المصادر أسماء عشرة مـــن الصحابـــة الذين دخلوا مكة بجوار مشركين من عشائرهم أو من غيرها ، أما البقية فيبدو أنهم دخلوا مكة خفية ومن غير جوار[٣٤] . وقـــد أورد لنـــا ابـــن

---

[٣٠] المصدر نفسه ، ق ١ ص ٣٧١ .

[٣١] ابن إسحاق ، محمد ــ سيرة ابن إسحاق ، تحقيق محمد حميـــد الله ، المغـــرب ١٩٨١ ، ص ١٥٤ .

[٣٢] المصدر نفسه ، ص ١٩٤ .

[٣٣] المصدر نفسه ، ص ١٥٨ ، ابن هشام السيرة ، ق ١ ص ، ٣٦ ــ ٣٦٩ .

[٣٤] الجبوري ، الجوار دراسة في المفهوم والدلالة التاريخية ، ص ٦٩ ــ ٧١ .

إسحاق تفاصيل عن قصة جوار عثمان بن مظعون تساعدنا على فهم طبيعة عقد الجوار في هذه الحقبة ومدى استعداد المسلمين للالتزام بشروطه . يقول ابن إسحاق : " وقدم عثمان بن مظعون بجوار من الوليد بن المغيرة .. فلما رأى عثمان ما يلقى رسول الله ــ ﷺ ــ وأصحابه من الأذى ، وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة ، قال عثمان : والله ان غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل بيتي يلقون من البلاء والأذى في الله عز وجل ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي . فمشى إلى الوليد بن المغيرة وهو في المسجد ، فقال : يا أبا عبد شمس ، وفت ذمتك ، قد كنت في جوارك ، وقد أحببت ان اخرج منه إلى رسول الله ــ ﷺ ــ ، ولي به وبأصحابه أسوة . قال الوليد : فلعلك يا بن أخي أوذيت أو انتهكت ، فقال : لا ، ولكني أرضى بجوار الله تعالى ، ولا أريد ان استجير بغيره . قال : " فأنطلق إلى المسجد فأردد عليَّ جواري علانية كما أجرتك علانية "[٣٥] ففعل ، وقد تعرض اثر رده الجوار لأذى واعتداء أحد سفهاء المشركين ، ومع ذلك فقد صبر ، وفضل ان يعيش في جوار الله على جوار الوليد شأنه في ذلك شأن غيره من المسلمين[٣٦] .

٣ . ويبدو ان جوار بعض المشركين كان يقوم على شرط ضمني يقضي بأن لا يتصرف المسلم بطريقة يعدها المشركون مؤذية لهم أو لمعتقداتهم . مما يؤدي بالمسلم أما إلى رفض ذلك الجوار أو مجاراة المشركين فيما يطلبون على حساب عقيدته . ومن الأمثلة البارزة على هذا النوع من الجوار جوار ابن الدغنة لأبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ ، فقد ذكر ابن إسحاق ان أبا بكر استأذن رسول الله ــ ﷺ ــ في الهجرة

---

[٣٥] ابن إسحاق ، سيرة ابن إسحاق ، ص ١٥٨ ــ ١٥٩ .

[٣٦] المصدر نفسه ، ص ٢١٨ ــ ٢١٩ .

حين أوذوا بمكة ، فأذن له ، فلقيه على بعد يومين من مكة ابن الدغنة ، وكان سيد الاحابيش في مكة ، فسأل أبا بكر عن سبب هجرته ، فقال " آذاني قومي وأخرجوني من بلادي . فقال " ولم ؟ فو الله انك لتزين العشيرة ، وتعين على النائبة ، وتفعل المعروف ، وتكسب العدم ، ارجع ، فأنت في جواري . فرجع ... وكان لأبي بكر مسجد بفناء داره ، فكان إذا صلى فيه وقرأ القرآن بكى بكاء كثيرا ، فيجتمع اليه النساء والصبيان والعبيد يعجبون مما يرون من رقته ... فخشى رجال من قريش خطر هذا الأمر وتأثيره ، فمشوا إلى ابن الدغنة وشكوا له مما يفعله أبو بكر الصديق ــ ﷺ ــ وطلبوا منه ان يطلب منه الكف عن ذلك ، فذهب ابن الدغنة إلى أبي بكر وقال له : اني لم أجرك لتؤذي قومك ، فأتخذ مصلي غير هذا . فقال أبو بكر : أو غير ذلك ؟ فقال : وما هو ؟ قال : أرد عليك جوارك ، وارضى بجوار الله فقال : نعم ، فقال أبو بكر : فقد رددت عليك جوارك .فقال ابن الدغنة : يا معشر قريش ، إن أبا بكر قد رد علي جواري ، فشأنكم بصاحبكم .

وهكذا نلاحظ إن جميع الصحابة قد فضلوا العيش في مكة تحت وطأة الاضطهاد والأذى على التمتع بجوار مشروط يحد من حريتهم في الحركة والدعوة . أما من لم يستطيع الصبر على الأذى فقد مال نحو الهجرة خشية من الفتنة في دينه وعقيدته .

٤ . وان مما تجدر الإشارة اليه في هذا المجال ان الجوار الذي منحه أبو طالب للرسول ــ ﷺ ــ كان جوارا تاما خاليا من الشروط التي تقيد حرية الرسول ــ ﷺ ــ في الدعوة والعمل . وقد سعى رجال الملأ على حمل أبى طالب إلى تغيير موقفه ومنع الرسول ــ ﷺ ــ من مواصلة الدعوة ولكن كافة مساعيهم قد فشلت .. وتحمل أبو طالب وقومه الأذى والمقاطعة دفاعاً عن الرسول ــ ﷺ ــ ... ولم يتغير موقف بني هاشم

من الرسول ــ ﷺ ــ والدفاع عنه إلا بعد وفاة أبـــي طـــالب وانتقـــال زعامة العشيرة إلى عمـــه الآخـــر ابـــي لـــهب .. وكـــان معارضـــاً للرسول ــ ﷺ ــ متضامناً مع قومه في مقاومة الإسلام[٣٧] .

٥ . عند ذلك ، وجد الرسول ــ ﷺ ــ نفسه مضطراً للبحث عن ملجـــأ آمن في خارج مكة ، فهاجر إلى الطائف عسى ان يجد فيـــها الحمايـــة والنصرة ، ولكنه فوجئ بالأعراض والتكذيب والأذى ، فلم يكن موقـف أهل الطائف بأفضل من موقف أهل مكة منه .. فقرر العودة الى موطنه مكة[٣٨] . ولكن كيف ؟ .. لقد شعر الرسول ــ ﷺ ــ انه ليس بمقـدوره دخول مكة إلا بجوار أحد أسياد مكة ، وذلك لان عشيرته قد تخلت عـن حمايته ولا سيما بعد ان قرر اللجوء الى الطائف . فكأنه بهذا العمل قـد قرر خلع نفسه من عشيرته[٣٩] .

وهنا يقدم لنـــا الطـــبري روايـــة مفصلـــة عـــن مفاوضـــات الرسول ــ ﷺ ــ للحصول على جوار أحد رجال مكة بشرط إلا يقيـــد ذلك الجوار حريته في إبلاغ رسالة ربه إلى الناس ، فقال : لما انصرف رسول الله ــ ﷺ ــ من الطائف مريدا مكة مر به بعض أهـــل مكـــة ، فقال له رسول الله ــ ﷺ ــ : " هل أنت مبلغ عني رسالة أرسلك بـــها ؟ قال : نعم . قال : أتِ الأخنس بن شريف ، فقل له : يقول لك محمد هل أنت مجيري حتى ابلغ رسالة ربي ؟ قال : فأتاه ، فقال له ذلك ، فقـــال الأخنس : ان الحليف لا يجير على الصريح . قال: فأتى النبي ــ ﷺ ــ

---

[٣٧] ابـن هشـــام ، الســـيرة ، ق ١ ص ٢٦٤ ــ ٢٦٩ ، ص ٣٥٠ ــ ٣٥٤ ، ٤١٥ ــ ٤١٩ .

[٣٨] المصدر نفسه ، ق ١ ص ٤١٩ ــ ٤٢٠ .

[٣٩] الملاح ، د . هاشم يحيى ، الوسيط في السيرة النبويـــة والخلافـــة الراشـــدة ، ص ١٦٧ .

فأخبره ، قال : تعود ؟ قال : نعم ، قال : آتِ سهيل بن عمرو ، فقل له : ان محمداً يقول لك : هل أنت مجيري حتى ابلغ رسالات ربي ؟ فأتاه فقال له ذلك ، قال : فقال : ان بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب . قال : فرجع إلى النبي ـ ﷺ ـ ، فأخبره ، قال : تعود ؟ قال : نعم ، قال آت المطعم بن عدي فقل له : ان محمدا يقول لك : هل أنت مجيري حتى ابلغ رسالات ربي ؟ قال : نعم ، فليدخل ، قال فرجع فأخبره ، واصبح المطعم بن عدي قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد ، فلما رآه أبو جهل ، قال : أمجير أم متابع ؟ قال : بل مجير ، قال : فقال قد أجرنا من أجرت ، فدخل النبي ـ ﷺ ـ مكة وأقام بها[٤٠] .

يظهر من الرواية الآنفة الذكر ان الجوار عقد بين المستجير والمجير .. وان من حق كلا الطرفين ان يعرضا شروطهما للتفاوض ، فان اتفقا انعقد الجوار وإلا فلا جوار . كما يلاحظ دقة موقف المجير فهو لا يستطيع ان يمنح الجوار في مواجهة أناس أعلى منه منزلة في النظام القبلي ، فلا يستطيع الحليف ان يجير على الصريح . كما لا تستطيع العشيرة الضعيفة ان تجير على العشيرة الأقوى منها وهكذا .

٦ . ويبدو إن الرسول ـ ﷺ ـ قد استطاع ان يواصل نشاطه في نشر الدعوة في مكة بعد حصوله على حماية المطعم بن عدي حتى هجرته إلى المدينة المنورة بعد ان آمن به رجال من الاوس والخزرج وبايعوه في العقبة الثانية على المنعة والحماية والهجرة الى مدينتهم يثرب[٤١] .

---

[٤٠] الطبري ، محمد بن حرير ، تاريخ الرسل والملوك ، مصر ١٩٦٨ ، ج ٢ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، انظر أيضا ، محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، بيروت ١٩٦٠ ج ١ ص ٢١٢ .

[٤١] ابن هشام ، السيرة ، ق ١ ص ٤٤٢ .

وهنا ، قد يكون من المناسب ان نتساءل : هـــل تعـد المنعـة والحماية التي حصل عليها الرسول ــ ﷺ ــ في بيعة العقبة الثانية مـن أهل المدينة ضربا من ضروب الجوار ، وان الرسول ــ ﷺ ــ قد غـدا بموجبها جـــارا لأهلـــها ؟ ... الحقيقـــة ان دراســـة طبيعـــة مركـــز الرسول ــ ﷺ الذي نصت عليه بيعة العقبة الثانية تجعلنا نجيب علـــى هذا التساءل بالنفي ، وذلك إنَّ الأنصار من أهل المدينة كانوا قد آمنـــوا بالرسول ــ ﷺ ــ وبايعوه على السمع والطاعة ، ومن ثم فقد ســـلموا قيادتهم له ، وتعهدوا بأن يحموه ويدافعوا عنه كما يدافعون عن أنفســـهم وأهليهم . وبذلك اصبح الرسول ــ ﷺ ــ قائدا أعلى لـــهم ، ورئيســـا " للأمة ــ الدولة " التي ستنشأ في المدينة (يثرب) بعد هجرته إليـــها .. وهو سنوضحه في الصفحات التالية :

الجوار ووحدة المجتمع الإسلامي في المدينة :

كان أهل المدينة يعيشون حالة انقسام وتمزق داخلي حينما بدءوا اتصالاتهم بالرسول ــ ﷺ ــ في مكة ، وقد وصفوا لـــه هـــذا الواقـــع بصورة دقيقة ونقلوا اليه تطلعهم للوحدة تحت راية الدين الجديد وقيادتـــه بقولهم : " انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينـــهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ، فندعوهـــــم إلـــى أمـــرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليـــه فلا رجل أعز منك "[٤٢] .

ومن ثم ، كان من الطبيعي إن يضع الرســـــول ــ ﷺ ــ عنـــد هجرته إلى المدينة على رأس اهتماماته إشاعة الوحدة والتعاون والحـــب والسلام بين أهل المدينـــة . لـــذا فقـــد روي ان أول مـــا تحـــدث بـــه

---

[٤٢] المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٢٩ .

الرسول ــ ﷺ ــ بعد وصوله إلى المدينة قوله : " يا أيها الناس ، أفشوا السلام وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيلم ، تدخلون الجنة بسلام "[٤٣] .

أما على المستوى العملي فقد لاحظ الرسول ــ ﷺ ــ حين وصوله (قباء) في أطراف المدينة ونزوله في بني عمرو بن عوف من الاوس ان أحد أبناء الخزرج وهو سعد بن زرارة قد خاف ان يأتي للسلام عليه لأنه كان يخشى ان يثأر منه الاوس لأنه كان قد قتل أحد أبنائهم في حرب بعاث التي نشبت بين الاوس والخزرج قبل الهجرة بحوالي خمس سنوات . فلما علم الرسول ــ ﷺ ــ بالسبب ، قال : لسعد بن خيثمة ورفاعة ومبشر ابني عبد المنذر : أجيروه ، قالوا : أنت يا رسول الله فأجره فجوارنا في جوارك ، فقال رسول الله ــ ﷺ ــ : يجيره بعضكم ، فقال سعد بن خيثمة : هو في جواري ، ثم ذهب سعد بن خيثمة إلى اسعد بن زرارة في بيته فجاء به مخاصرة يده في يده ظُهراً حتى انتهى به إلى بني عمرو بن عوف ، ثم قالت الاوس : يا رسول الله كلنا له جار ، فكان اسعد بن زرارة يغدو ويروح إلى رسول الله ــ ﷺ ــ[٤٤] .

ان التأمل في الحوار الذي دار بين الرسول ــ ﷺ ــ وبين بعض رجال الاوس حول منح الجوار لأسعد بن زرارة من الخزرج يوصلنا إلى انهم كانوا ينظرون إلى الرسول ــ ﷺ ــ بصفته قائدهم الأعلى ، لذا فقد أجابوه حين طلب منهم إن يجيروا سعد بن زرارة :

---

[٤٣] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ص ٢٣٥ .

[٤٤] السمهودي ، نور الدين علي بن احمد ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، ١٩٥٥ ، ج ١ ، ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠.

أنت يا رسول الله فأجره ، فجوارنا في جوارك . غير ان الرسول ــ ﷺ ــ فضل عدم استعمال هذا الحق في هذه المرحلة المبكرة من دخوله المدينة كي يؤكد موقفه المحايد من المنازعات التي كانت قائمة في المدينة قبل دخولهم في الإسلام .

لقد كانت صيغة (الجوار) من التقاليد العربية التي تنظم علاقات الأمن والحماية بين الأفراد وبين العشائر في المجتمع العربي ، فهل أقر الرسول ــ ﷺ ــ هذه الصيغة لتنظيم العلاقة بين المهاجرين من قريش وبين أبناء عشيرتي الاوس والخزرج الذين نزلوا عندهم وعاشوا إلى جوارهم ؟ .

لم تقدم لنا المصادر التاريخية نصوصا مباشرة وواضحة تساعدنا على الإجابة على هذا التساؤل ، لذا كان لا بد للباحث ان يعمل اجتهاده في استنتاج الإجابة من بعض الأوامر والتنظيمات التي أصدرها الرسول ــ ﷺ ــ في المدينة ولا سيما في السنة الأولى للهجرة ، والتي سنعرضها على النحو الآتي :

١ . أورد ابن كثيرا خبرا عن الأمام احمد بن حنبل يقول : انه قد خوج خمسمائة رجل من الأنصار في استقبال الرسول ــ ﷺ ــ عند دخوله المدينة وكان معه أبو بكر الصديق فقالوا لهما : " انطلقا آمنين مطاعين "[٤٥] . وهذا يدل على ان الأنصار كانوا يؤكدون بهذا القول تعهدهم في بيعة العقبة الثانية بحماية الرسول ــ ﷺ ــ وطاعته ، ومن ثم فانهم لم ينظروا إلى دخول الرسول ــ ﷺ ــ مدينتهم بصفته جارا أو حليفا ، وإنما دخلها بصفته (الرسول القائد) .

---

[٤٥] ابن كثير ، أبو الفداء ، السيرة النبوية ، بيروت (دار الكتب العلمية ، بلات ، ج ١ ص ٣٨١ ــ ٣٨٢ .

٢ . غير ان البيهقي في دلائل النبوة والحاكم في المستدرك يوردان حديثا غريبا قد يتعارض في مدلوله ظاهريا مع هذا الخبر . يقول نص الحديث : " قدم رسول الله ــ ﷺ ــ المدينة فلما دخلها جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا : " إلينا يا رسول الله . فقال : دعوا الناقة فإنها مأمورة ، فبركت على باب ابي أيوب . فخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمدا من جار

فخرج إليهم رسول الله ــ ﷺ ــ فقال : أتحبونني ؟ فقالوا : أي والله يا رسول الله فقال : وأنا والله احبكم ، وأنا والله احبكم ، وأنا والله احبكم[٤٦].أن التأمل في هذا الحديث يوصلنا إلى ان الرسول ــ ﷺ ــ قد اقر وصفه في هذا البيت من الشعر بأنه : " جار " لأنه نزل بجوار أهل المدينة أو بجوار بني النجار . ولكن الجمع بين هذا الخبر وبين الخبر الذي سبقه وكافة الأخبار الأخرى عن بيعة العقبة الثانية وغيرها توصلنا إلى أن الرسول قد وافق على وصفه بـ (الجار) ليس بصفته حليفا يعيش تحت حماية الأنصار وانما بصفته قائدهم ويعيش بجوارهم بمفهوم الجوار المكاني . وهذا هو عين ما كان يراه المسلمون جميعا من المهاجرين والأنصار ، أما المنافقين فقد كانوا يعدون الرسول ــ ﷺ ــ حليفا استطاع أن يغلبهم على زعامة قومهم ... !! ... لذا فقد أشار القرآن الكريم إلى قول زعيم المنافقين عبد الله بن أُبي وهو يتوعد الرسول ــ ﷺ ــ أثناء الفتنة التي ظهرت في غزوة بني المصطلق: قوله تعالى: ((لَئِن رَّجَعنَا إِلى المدَينةِ لَيُخرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنَها الأَذَلَّ))[٤٧] .

---

[٤٦] المصدر نفسه ، ج١ ص ٣٨٤ ــ ٣٨٥ ، انظر أيضا أبيات شعرية لحسان بن ثابت ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ ، ص ٦٦٤ .

[٤٧] سورة المنافقين ، آية ٨ .

كما أورد ابن شبه أقوالاً تظهر حزنه على فقدانه زعامة قومه لصالح الرسول ـ ﷺ ـ نحو قوله : " غلبني على قومي من لا قوم له "[٤٨] !! و " يا بني الاوس يا بني الخزرج ، عليكم صاحبكم وحليفكم "[٤٩] ...

٣ . يبدو مما تقدم ، أن الرسول ـ ﷺ ـ قد وجد أن صيغة الجوار القائمة في المجتمع العربي (القبلي) قد أدت مفعولها في الحد من الآثار السلبية للصراع القبلي . وكان لها آثارها الإيجابية في تنمية روح التعاون والتكافل بين الناس . ومن ثم ، فانه ليس بالإمكان قبولها من دون تعديل في ظل مفاهيم الإسلام التي تسعى لإقامة أمة واحدة من دون الناس في إطار من التقوى وطاعة الله ورسوله .

وهكذا ، فقد عمل الرسول ـ ﷺ ـ على تنظيم الأوضاع في المدينة على وفق أسس جديدة لا تتنكر لفضائل العرب القديمة كالجوار والتحالف .. ولكن بعد تعديل مفهومها وأهدافها لتنسجم مع القيم والتعاليم التي جاءت بها الرسالة الإسلامية وكان من ابرز هذه التنظيمات (المؤاخاة) بين المهاجرين والأنصار .

يقول ابن سعد : " لما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، آخى بينهم على الحق والمؤاساة ، ويتوارثون دون ذوي الأرحام "[٥٠] . وقد أعلن الرسول ـ ﷺ ـ هذه المؤاخاة في السنة الأولى من الهجرة ، وربما كان ذلك في الشهر الخامس منها والمسجد يبنى . وقد ذكر ابن

---

[٤٨] ابن شبه النميري ، عمر ، كتاب تاريخ المدينة المنورة ، حققه فيهم محمد شلتوت مكة ١٩٧٩ ، ج ١ ص ٣٦٦ .

[٤٩] المصدر نفسه ، ج ١ ص ٣٦٦ .

[٥٠] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ص ٢٣٨ .

سعد إن الرسول ــ ﷺ ــ حالف بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ [٥١].

أن دراسة هذا النص تحملنا على ملاحظة ان الرسول ــ ﷺ ــ حاول من خلال حلف المؤاخاة هذا أن يتجاوز صيغة العلاقات القبلية فهو قد أطلق على الاوس والخزرج تسمية (الأنصار) لأنهم قاموا بنصرة المهاجرين من قريش ، وهي تسمية إسلامية جديدة ، كما أطلق على المسلمين من قريش اسم (المهاجرين) ، وهي الأخرى تسمية إسلامية جديدة تنسجم مع روح العهد الجديد ، كقوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُا)) ، ((والذِينَ آمَنوا وهاجروا))[٥٢].

وقد أطلق الرسول على هذا التحالف بين المهاجرين والأنصار اسم (المؤاخاة) لأن المؤاخاة تتضمن معنى المساواة والتكافل والتعاون بين المتحالفين على خلاف تحالف (الجوار) الذي يعطي مقاماً ارفع لمن يمنح الجوار ويجعل من المستجير الذي يعيش تحت حماية الجار بمثابة مولى يدين بالتبعية والولاء لجاره . فاعلان المؤاخاة كما يؤكد بعض الباحثين كان " يعود بالدرجة الأولى إلى رغبة الرسول ــ ﷺ ــ في إلا يعامل الأنصار المهاجرين معاملة الحلفاء لأن الحليف على وفق التقاليد العربية اقل منزلة في القبيلة من الابن الصريح ، وذلك لان الحليف يعيش تحت حماية القبيلة ، ويورث من قبلها ان توفي . كما ان ديته هي نصف دية الصرحاء ولا يقتل الصريح بالحليف "[٥٣] .

---

[٥١] المصدر نفسه ، ج ١ ص ٢٣٩ .

[٥٢] القرآن الكريم ، سورة الأنفال : ٧٢ ــ ٧٤ .

[٥٣] العسلي ، د . خالد ، نظام المؤاخاة في عهد الرسول ، مجلة دراسات للأجيال ، العددان ٤ و ٥ بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٢٧ .

في ضوء ما تقدم فقد اصبح المجتمع الإسلامي الجديد مؤلفاً من أفراد متساوين تقوم العلاقات بينهم على أساس الاخوة في الدين ، وليس على أساس العصبية القبلية وما ينشأ عنها من تحالفات . وقد أكد القرآن الكريم أن هذا الوضع الجديد هو من نعم الله التي ينبغي على المسلمين ان يشكروا الله عليها ويعتصموا بها : "((واعتَصِمُوا بحبلِ الله جميعاً ولا تَفَرَّقُوا واذكُرُوا نِعمَتَ اللهِ عليكُم ، إذ كُنتُم أعداءً فألَّفَ بينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بنعمتِهِ إخواناً)) "[٥٤] .

٤ . وتعد (الصحيفة) التي أعلنها الرسول ــ ﷺ ــ في المدينة لتنظيم العلاقات بين سكانها بمثابة دستور يحدد حقوق وواجبات كل طرف من أطرافها . وقد تضمنت هذه الصحيفة عدداً من النصوص المهمة التي توضح مفهوم الإسلام عن الجوار ومنهج الرسول ــ ﷺ ــ في توظيفه لخدمة وحدة الأمة والمجتمع في المدينة . ومن اجل وضوح العرض وتماسكه فإننا سنقوم بتنظيم ما ورد في الصحيفة عن الجوار على أساس موضوعي وعلى النحو الآتي :

أ ــ أن صاحب السيادة أو الحاكمية الذي يملك الحق في منح الجوار بصورة مطلقة هو الله تعالى . وقد أوضح القرآن الكريم هذا المعنى في عدد من الآيات المكية نحو قوله تعالى : " قُل مَن بيدِهِ ملكوتُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ يُجيرُ ولا يُجَارُ عَليهِ "[٥٥] . وقوله تعالى : " قُل أَرايتُمُ إن أهلَكَنِي اللهُ ومَن مَّعِيَ أَورَحِمَنَا فَمَن يُجيرُ الكافِرينَ مِن عذابٍ أليمٍ "[٥٦] .

ب ــ ربطت الصحيفة بين جوار الله تعالى وجوار رسوله ــ ﷺ ــ ، وذلك لأن محمداً ــ ﷺ ــ هو رسول الله ، وهو لا ينطق عن الهوى ان

---

[٥٤] سورة آل عمران ١٠٣ .

[٥٥] سورة المؤمنون : آية ٨٨ .

[٥٦] سورة الملك : آية ٢٨ .

هو إلا وحي يوحى . ومن ثم إن من واجب المسلمين طاعة أوامره لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله . وهكذا فقد نصت الصحيفة على ان " الله جار لمن بر وأتقى ، ومحمد رسول الله ـ ﷺ ـ ... "[٥٧] . ومعنى ذلك ان الله تعالى ورسوله يمنحان الحماية لكل من التزم بأحكام هذه الصحيفة بدقة (نصا وروحا) .

جـ ـ نصت الصحيفة على انه لا يجوز لأحد من أهل المدينة ان يمنح الجوار إلا بأذن صاحب السلطة والحق في منحه ، وهو الله تعالى ورسول محمد ـ ﷺ ـ ، وان أي خلاف أو نزاع بين أصحاب هذه الصحيفة يهدد أوضاع المدينة بالخطر فان أمر الحكم فيه وتسويته يرد إلى الله ورسوله : " وانه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو أشتجار يخاف فساده فان مرده إلى الله عز وجل ، والى محمد رسول الله ـ ﷺ ـ "[٥٨] . وان مما يوضح أبعاد هذا النص ان الصحيفة قد حرمت على أهل المدينة منح الحماية والجوار لمن يرتكب جناية أو عدوان ضد الآخرين ولو كان ولد أحدهم ، وان عليهم التعاون في إيقاع العقوبة عليه[٥٩] . وهذا يعني ان منح الجوار قد اصبح حقا من حقوق السيادة العامة التي تعود إلى الله ورسوله[٦٠] ، ومن ثم ، فانه لم يعد من حق أي فرد من أفراد المجتمع أن يمنح الجوار إلا بعد اخذ موافقة الرسول ـ ﷺ ـ على ذلك ، وانه إذا منح هذا الجوار فان نفاذه معلق على إقرار الرسول ـ ﷺ ـ

---

[٥٧] ابن هشام ، السيرة ، ق ١ ص ٥٠٤ .

[٥٨] المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٥٠٤ .

[٥٩] المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٥٠٢ .

[٦٠] الشريف ، احمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، مصر ١٩٦٥ ص ٣٩٩ .

واجازته له ... وهكذا فقد اصبح أقصى ما يملكه المسلمون في هذا المجال لمعاونة الجاني هو (الشفاعة) له عند رسول الله ـ ﷺ ـ من اجل العفو عنه أو تخفيف العقوبة عليه ، إلا ان رسول الله ـ ﷺ ـ أوضح لهم إن الشفاعة لا تجوز في حقوق الله وهي التي أطلق عليها وصف (الحدود) . فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ : " ان قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت ، فقالوا من يكلم فيها رسول الله ـ ﷺ ـ ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ حب رسول الله ـ ﷺ ـ ، فكلمه أسامة ـ ﷺ ـ فقال : أتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فاختطب ، ثم قال : إنما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو إن فاطمة بنتُ محمد سرقت لقطعت يدها " أخرجه الخمسة . وفي رواية أبى داؤد والنسائي إن المرأة المخزومية كانت تستعير المتاع على السنة جاراتها ـ أي بواسطتهم ـ وتجحده أي تنكر استعارته[٦١] .

د ـ ان وحدة مركز القرار في منح الجوار في الأمة قد جعل ذمة المسلمين وعهدهم ذمة واحدة وان هذه الذمة كما نصت الصحيفة تنسب إلى الله تعالى " وان ذمة الله واحدة "[٦٢] . أما حق ممارسة الجوار من قبل أفراد الأمة فهم فيه متساوون لا يعلو فرد على آخر في هذا الحق بسبب شرفه أو منزلته الاجتماعية . إلا إن حق المسلمين في منح الجوار مقيد بأوامر الله ورسوله فلا يجوز لهم التجاوز على حدود الله ولا التعدي على سلطات الرسول ـ ﷺ ـ :" وان ذمة الله واحدة ،

---

[٦١] ابن الديبع الشيباني ، تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ، مصر ١٩٣٤ ج ٢ ، ص ١٣ .

[٦٢] ابن هشام ، السيرة ، ق ١ ص ٥٠٢ .

يجير عليهم أدناهم . وان المؤمنين بعضهم أولياء بعض دون الناس "[٦٣] .

هـ ـ وانسجاما مع ذلك فقد نصت الصحيفة على منع أهل المدينة من مسلمين أو مشركين أو يهود أن يمنحوا الجوار لقريش أو من ناصرها لأنها كانت في حالة عداء وحرب مع المسلمين : " وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن "[٦٤] ، وانه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وان بينهم النصر على من دهم يثرب "[٦٥] .

لقد استطاع الرسول ـ ﷺ ـ من خلال هذه التنظيمات التي وضعها في السنة الأولى من هجرته إلى المدينة والتي هي امتداد للمبادئ التي جاء بها القرآن الكريم في الحقبة المكية ان يركز سلطة اتخاذ القرار في الأمور العامة بيده ومنها حق منح الحماية او الجوار للآخرين . وقد حفلت الحقبة المدنية بالكثير من قرارات منح الجوار التي اتخذها الرسول ـ ﷺ ـ أما مباشرة أو بناءا على طلب الآخرين . وسنعرض فيما يأتي لأهم تلك القرارات .

الجوار في الممارسة والتطبيق :

يعد الجوار أحد الوسائل السياسية التي استخدمها الرسول ـ ﷺ ـ في توثيق علاقاته مع بعض الأفراد والجماعات في داخل المدينة وخارجها كما انه كان وسيلة مهمة لمحاربة أعدائه من خلال عدم منحهم الجوار وحشد الآخرين إلى جانبه بغية الضغط عليهم وأضعافهم وحملهم على تغيير مواقفهم من الدعوة الإسلامية ، وهو

---

[٦٣] المصدر نفسه ، ق ١ ص ٥٠٢ .

[٦٤] المصدر نفسه ، ق ١ ، ٥٠٣ .

[٦٥] المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٥٠٤ .

الأمر الذي مارسه بوضوح ضد قبيلة قريش وحلفائها . وسنعرض فيما يأتي لبعض حالات الجوار التي توضح هذه الأهداف لمنح الجوار :

١ . حاول الرسول ــ ﷺ ــ الاستفادة من تقاليد العرب في منح الجوار للآخرين من اجل تأمين المناخ المناسب لأصحابه من اجل نشر الدعوة الإسلامية ، وقد عرضنا لعدد من هذه الحالات في الحقبة المكية ، وقد استمرت هذه السياسة في الحقبة المدنية ، إلا أنها لم تخل من اخفاقات بسبب الغدر وعدم قدرة من منح الجوار من الوفاء بعهده . وربما كان جوار أبى براء عامر بن مالك لأصحاب بئر معونة ابرز مثال على ذلك . فقد روى ابن إسحاق إن أبا براء قدم على رسول الله ــ ﷺ ــ فعرض عليه الإسلام ، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام . وقال : يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد ، فدعوهم إلى آمرك ، رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله ــ ﷺ ــ : أني أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء " أنا لهم جار . فلما بعثهم رسول الله ــ ﷺ ــ إلى نجد لم يحترم قو أبي براء جواره واعتدوا على أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ فقتلوهم جميعا إلا كعب بن زيد ، فانه نجى من الموت بعد أن أصابته جراح بليغة[٦٦] .

وهنالك واقعة أخرى قريبة الشبه بهذه الحادثة ، فقد أدرك الحارث بن سنان الإسلام ، " وبعث النبي ــ ﷺ ــ معه رجلا من الأنصار ليدعو أهله في جواره إلى الإسلام ، فقتله رجل من بني ثعلبة ، فبلغ ذلك النبي ــ ﷺ ــ فقال لحسان : قل فيه ، فقال حسان بن ثابت :

يا جار من يغدر بذمة جاره منكم فان محمدا لم يغدر
وأمانة المري ما استرعيته مثل الزجاجة صدعها لم يجبر

---

[٦٦] المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ١٨٣ ــ ١٨٥ .

ان تغدروا فالغدر منكم عادة والغدر ينبت في أصول السخبر

فبعث الحارث يعتذر ، وبعث بدية الرجل ، ففرقها النبي ـ ﷺ ـ على أهله "[٦٧] .

٢ . استخدم الرسول ـ ﷺ ـ منح الجوار وسيلة لتالف قلوب بعض الناس واجتذابهم إلى الإسلام . ومن الأمثلة على ذلك منحه الجوار لعيينة بن حصن ، فقد ذكر إن بلاد عيينة بن حصن أجدبت فخاف على قومه ومواشيهم من الهلاك فسار بهم حتى دخل في حمى المدينة ، وكانت في ذلك العام حسنة المرعى ، " فأتى النبي ـ ﷺ ـ فدعاه إلى الإسلام فلم يبعد ولم يدخل فيه ، وقال : أني أريد ان أدنو من جوارك فوادعني فوادعه ثلاثة أشهر ، فلما انقضت المدة انصرف عيينة وقومه إلى بلادهم وقد اسمنوا والبنوا وسمن الحافر من العليان (وهو نوع من النباتات).. "[٦٨].غير ان عيينة قد قابل معروف الرسول ـ ﷺ ـ واحسانه بضدة فقام بالإغارة على جمال الرسول ـ ﷺ ـ كانت ترعى في أطراف المدينة فقال له الجارود بن عوف " ما جزيت محمداً ، سمنت في بلاده ثم غزوته ، قال : هو ما ترى . وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : الأحمق المطاع "[٦٩] .

٣ . عملاً بقول الله تعالى : "((وإِنِ أَحَدٌ مِنَ المَشرِكِينَ أستجارَكَ فأَجِرهُ حَتَّى يَسمعَ كلامَ الله ثُمَّ أَبلِغهُ مَأمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهمُ قومٌ لا يعلمونَ)) "[٧٠]

---

[٦٧] ابن دريد الازدي ، محمد بن الحسن ، كتاب الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بغداد ١٩٧٩ ، ج ٢ ص ٢٨٨ .

[٦٨] ابن قتيبة الدينوري ، عبد الله بن مسلم ، المعارف ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ١٧١ .

[٦٩] المصدر نفسه ، ص ١٧١ .

[٧٠] سورة التوبة : آية ٦ .

والتزاماً بما نصت عليه الصحيفة بقولها : " ان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم "[٧١] . فقد أوردت لنا المصادر كثيراً من حالات الجوار التي بادر بعض المسلمين إلى منحها للمشركين ، كان اغلبها لغرض تأمين حياتهم وحمايتهم من القتل فأقر الرسول ــ ﷺ ــ جوارهم ، ربما لتأكيد وحدة الجماعة وتلاحمها ، وتألفا لقلوب المشركين الذين استجاروا بالمسلمين . وكان من ابرز هذه الحالات ، اجارة زينب بنت الرسول ــ ﷺ ــ لزوجها أبو العاص بن الربيع حينما وقعت تجارته غنيمة بيد المسلمين وكان آنذاك مشركا فلجأ إلى زوجته التي فرق الإسلام بينها وبينه مستجيرا بها فأجارته . فأقر رسول الله جوارها ، وكان ذلك سببا في إسلام أبى العاص[٧٢].وكذلك اجارة العباس عم الرسول ــ ﷺ ــ لأبي سفيان قبل فتح مكة واقرار الرسول ــ ﷺ ــ إجارته واجارة العديد من المسلمين للمشركين الذين أهدر الرسول ــ ﷺ ــ دماءهم قبل فتح مكة واقرار الرسول لفعلهم ، وكان ذلك سببا في إسلامهم وتألف قلوبهم[٧٣] .

ويبدو من دراسة مجموع حالات الجوار التي منحها المسلمون للمشركين في هذا المجال وقام الرسول ــ ﷺ ــ بإقرارها ، إنها لم تكن تجاوزا على سلطات الرسول ــ ﷺ ــ في منح الجوار وانما كانت مبادرات اجتهادية في منح جوار مؤقت معلق نفاذه واستمراره على موافقة الرسول ــ ﷺ ــ واقراره ــ فأن وافق الرسول ــ ﷺ ــ عليه

---

[٧١] ابن هشام ، السيرة ، ق ١ ، ص ٥٠٢ .

[٧٢] الطبري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٧٠ ــ ٤٧٢ .

[٧٣] ابن هشام ، السيرة ، ق ٢ ، ص ٤٠٢ ــ ٤٠٣ ، ٤٠٩ ــ ٤١١ ، ٤١٧ ــ ٤١٩ .

صار نافذا وان اعترض عليه ولم يقره كان باطلا ولم تترتب عليه أية أثار .

٤ . وبعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة وانضمامها إلى دولة الرسول ــ ﷺ ــ في المدينة اصبح منح جوار الله ورسوله لمختلف القبائل والأقوام والمدن علامة على دخولها في طاعة الدولة الإسلامية وتمتعها بحمايتها . وقد حفظت لنا المصادر التاريخية كثيرا من العهود التي كتبها الرسول ــ ﷺ ــ لمختلف الأقوام يتعهد فيها بمنحها (جوار الله وجوار رسوله) إذا التزموا بشروط العهد نحو عهده لأهل نجران. وحضرموت وقنا وغيرهم[٧٤]. وهكذا اصبح جوار الله ورسوله علامة على امتداد الأمان والسلم الإسلامي إلى كافة الأقاليم التي تخضع للسلطة الإسلامية وأحكام شريعة الإسلام ، سواء أكان أهلها من المسلمين أم من أهل الذمة . ولم يعد من الجائز ان يقوم عامة الأفراد بمنح الحماية والجوار لمن يستجير بهم كما كان الأمر عند العرب قبل الإسلام ، بل اصبح ذلك من اختصاص الرسول ــ ﷺ ــ أو من يخوله ممارسة ذلك ، لأن الجوار بهذا المفهوم قد اصبح حقا من حقوق السيادة . وغدا من واجبات الدولة ان تكفل للأفراد والجماعات الذين يعيشون فيها الأمن والسلام والحماية ، ومن ثم فقد تلاشت الأسباب والمبررات التي كانت تفرض على بعض الأفراد الأقوياء من زعماء العشائر وغيرهم منح الجوار لمن يستجير بهم من الضعفاء والمحتلجين وغيرهم[٧٥] . ولكن هل أدى هذا التحول الجذري في أوضاع المجتمع

---

[٧٤] الحيدر آبادي ، محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٥٤ ــ ٥٧ ، ١١٥ ــ ١٢٨ .

[٧٥] الزناتي ، محمود سلام ، نظم العرب قبل الإسلام ، القاهرة ١٩٩٢ ص ١١٩ ــ ١٢٠ .

والدولة إلى اختفاء الجوار من المجتمع العربي في ظل الحكم الإسلامي أم انه استمر بعد ان اتخذ له مفهوما آخر ينسجم مع روح العهد الجديد ؟

الجوار والتكافل الاجتماعي في الإسلام :

بعد إن تولت الدولة مسؤولية حماية حياة الأفراد وأموالهم وعرضهم وكل ما قررته لهم الشريعة الإسلامية من حقوق وعلى رأسها حقهم في المساواة ، وان المسلمين بعضهم أولياء بعض لم يعد للجوار بمفهومه القبلي القديم من مكان في المجتمع الإسلامي إلا في حالة ضعف الدولة وتلاشي تأثيرها . ومن ثم فقد أعطى القرآن الكريم والسنة النبوية للجوار مفهوما أخلاقيا ودينيا يقوم على واجب تعاون وتكافل الجيران مع بعضهم في السراء والضراء فقال تعالى : "((واعبُدُوا اللهَ ولا تُشرِكُوا بِهِ شيئاً وبِالوالدين إحْساناً وبِذِي القُربَى واليَتامى والمساكينِ والجارِ ذي القُربَى والجَارِ الجُنَبِ والصَّاحِبِ بالجَنبِ وابنِ السبيلِ ، ومَا ملَكَت أيمانُكم ، إنَّ اللهَ لا يُحبُ من كانَ مُختَالاً فَخُوراً "[٧٦] . يقول القرطبي في تفسير هذه الآية ، إنها آية مدنية محكمة ليس منها شيء منسوخ ، وقد أمر الله تعالى فيها بحفظ الجار والقيام بحقه والوصاة برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه إلا تراه سبحانه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين ، فقال تعالى : (والجار ذي القربى) المسلم ، (والجار الجنب) اليهودي والنصراني . أما (الجار بالجنب) فهو الرفيق في السفر ، وقد روي إن مروءة السفر بين المتجاورين فيه : بذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط الله . وقد قيل إن (الصاحب بالجنب) هي الزوجة ويرى

---

[٧٦] سورة النساء : آية ٣٦ .

القرطبي إن القول الأول هو الأصح ، وقد تتناول الآية الجميع بالعموم ، والله أعلم .

وهكذا يتوصل القرطبي[٧٧] " إن الوصاة بالجار مأمور بها ، مندوب إليها مسلما كان أو كافرا ، وهو الصحيح ، والاحسان قد يكون بمعنى المواساة ، وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه . روى البخاري عن عائشة عن النبي ـ ﷺ ـ قال : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه ... "[٧٨] .

وقد اختلف الناس في حد الجيرة " فكان الاوزاعي يقول : أربعون دارا من كل ناحية ، وقاله ابن شهاب (الزهوي) ، وروي إن رجلا جاء إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال : اني نزلت محلة قوم ، وان أقربهم ألي جوارا أشدهم لي أذى ، فبعث النبي ـ ﷺ ـ أبا بكر وعمر وعليا يصيحون على أبواب المساجد : إلا أن أربعين دارا جار ، ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه . وقال علي بن ابي طالب : من سمع النداء فهو جار . وقالت فرقة : من سمع إقامة الصلاة فهو جار ذلك المسجد . وقالت فرقة : من ساكن رجلا في محلة أو مدينة فهو جار . قال الله تعالى : (لئن لم ينته المنافقون) إلى قوله (ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا) فجعل الله تعالى اجتماعهم في المدينة جوارا "[٧٩] .

وقد أوصى الرسول ـ ﷺ ـ المسلمين في الإحسان إلى الجار وبره في أحاديث كثيرة قد تزيد على الستين حديثا[٨٠] ، إلا إن اجمع

---

[٧٧] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٥ ، ص ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ـ ١٨٩ .

[٧٨] المصدر نفسه ، ج ٥ ، ١٨٤ .

[٧٩] المصدر نفسه ، ج ٥ ، ١٨٥ .

[٨٠] للتفصيل يراجع ، الجبوري ، الجوار دراسة في المفهوم ، ص ٥٨ ، ٦٣ .

حديث وأشمله في الوصية بالجار الحديث الذي رواه معاذ بن جبل ، قال : قلنا يا رسول الله ، ما حق الجار ؟ قال : ان أستقرضك أقرضته ، وان أستعانك أعنته ، وان احتاج أعطيته ، وان مرض عدته ، وان مات تبعت جنازته ، وان أصابه خير سرك وهنيته ، وان أصابته مصيبة ساءتك وعزيته ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، ولا تستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح إلا بإذنه ، وان اشتريت فاكهة فأهد له منها وإلا فأدخلها سرا لا يخرج ولدك بشيء منه يغيظون به ولده ، وهل تفقهون ما اقول لكم ، لن يؤدي حق الجار إلا القليل ممن رحم الله "[٨١] . يظهر مما تقدم ، إن الإسلام قد أقر الجوار باعتباره قيمة أخلاقية عليا .. ثم عمل على جعل الجوار بمعنى منح الحماية والامان للأفراد والجماعات من اختصاصات الدولة . أما الجوار بمفهوم التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع ، فقد جعله من واجبات الأفراد كافة التي ينبغي عليهم احترامها ومراعاة متطلباتها مراعاة كاملة .

---

[٨١] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٥ ، ص ١٨٨ ، راجع أيضا ، د . عبد الكريم زيدان المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم ، بيروت ١٩٩٤ ، ج ٤ ، ص ٤١ ــ ٥١ .